

حب الذات والجيرة

جوهرنا الإنساني، أي روحنا، هو الحب. أولاً، نحن ملزمون باكتشاف جوهرنا. لأن الجوهر هو طاقة الحياة. فهو يكشف عن الصدق والذات الحقيقية.

"**تحب قريبك كنفسك**" (متى 22: 39) هو تعليم حياتي يعكس الواقع العميق للحياة. لقد أعطى المسيح، الذي أشار به إلى الجوهر، أهمية كبيرة لكرامة الإنسان ودعانا إلى المسؤولية والعمل. وبهذا البيان الشامل الذي هو قاعدة أخلاقية أساسية، عبر أيضاً في نفس الوقت وبنفس اللهجة عن "حب القريب"، مؤكداً على أهمية التعاطف والعدالة في العلاقات الإنسانية. إن هذا الحب الذي ينصحنا بالتعامل مع جيراننا (الآخرين) بنفس الاحترام والرعاية التي نظهرها لأنفسنا، له عدد من المفاهيم التي تلعب دوراً مهماً في ضمان السلام الاجتماعي والوئام والعدالة، وعلاوة على ذلك، تجعل مسار الحياة أسهل. إن ضرورة وضع أنفسنا في مكان شخص آخر وتقييم الأمور من وجهة نظره هي شرط صالح لكل موقف وكل شكل من أشكال العلاقات. هذا الحب السامي الذي يكشف معنى الحياة ويعطي طاقة الحياة للشخص أو الأشخاص، هو نور ينيّر الجانب المظلم من الأنا ومفتاح للأبواب المغلقة. إذا لم ينيّر هذا النور العالم الداخلي، فلن يكون العالم الخارجي على ما يرام ولن يكون مستقراً. لأن هذا النور هو الفرح والمصدر الأساسي لقوة الحياة.

"**عامل الناس بالطريقة التي تريد أن يعاملوك بها**" إن عبارة "**تحب أخاك كنفسك**" هي مظهر آخر من مظاهر الكلمات (متى 7: 12) التي تشجعنا على عيش حياة مبنية على الاحترام المتبادل والتعاطف. من ناحية، يوجهنا هذا القول إلى اكتشاف حبنا لذواتنا ومعرفة أنفسنا، ومن ناحية أخرى، يؤكد أنه من أجل أن نحب قريبنا (الآخر)، يجب علينا أولاً أن نقبل القدرة على حب أنفسنا. فهو يطهرنا من كل أنواع الغطرسة والأنانية والعقد التي تسبب اختلالات روحية. فهو يذكرنا بأن نقدر ونساهم بتواضع مع جيراننا (كل إنسان) الذين نرتبط بهم من خلال روابط الدم وكذلك من خلال الروابط الروحية. لأنه عندما نفي بمتطلبات هذا التعليم، نعتبر أننا تقدمنا على طريق التطور وأدينا بواجب أساسي أثرى حياتنا الروحية.

لقد جاء المسيح إلى العالم بعقل روعي لا يفرق بين الناس. وأوكل إلينا هذا الفكر الروحي، وتحمل المعاناة من أجله، قائلاً: "أنتم ملح الأرض" (متى 5: 13). لقد أراد منا أن ندير حياتنا، ورسالتنا، وعلاقاتنا، وأنشطتنا، ومواهبنا، وردود أفعالنا وفقاً لمتطلباته.

الفهم الأساسي هنا، والذي يتطلب السلام العقلي، هو هذا: بينما نحاول الحفاظ على طعم (معنى) الحياة، تمامًا مثل الملح، بنهج لا يضر الآخرين، دون أن نكون متعجرفين أو متفاخرين، يجب علينا أيضًا أن نقدر أنفسنا والآخرين، لا أنانيين، غير معتمدين، بل متصلين!

"أحب أخاك بنفسك" (متى 22: 39) الغرض الرئيسي من التعبير هو رابطة الروح، طاقة الروح، دفء الروح، شفقة الروح، لطف الروح. لكنها تحمل أيضًا نفس المعنى المتمثل في احترام روابط الدم وعدم إهمالها أبدًا. وهذا المعنى يحمل معاني حيوية يمكن أن تساهم بشكل إيجابي في الروحانية والتشكيل الداخلي في جميع الظروف، اعتمادًا على مستوى صدق الشخص.

إذا لم يبرد الرابط الروحي بين الإنسان ويحافظ على دفئه، وإذا كان هذا الرابط قويًا، فلن يتردد الإنسان في تدفئة وسقاية كل المناطق التي يتواصل ويتفاعل فيها، بفضل هذا الرابط!

ولكن لا يجب أن ننسى أنه إذا بردت رابطة الروح أو ابتعدت عن هذه الرابطة فإن العذاب والمعاناة يزدادان. وهذا بالضبط ما يحدث اليوم وهذه هي النتيجة. إن هذا التغيير في النتيجة ممكن من خلال الابتعاد عن طموحات الأنا إلى حب بلا أنانية وخدمة القضايا الجيدة بروية الروح - بقلب نقي - وحماية الحقيقة والضمير في الخدمة والتدفق.

إذا كان التركيز منصبًا فقط على خدمة الآخرين وإضافة القيمة إليهم، مع اتباع نهج لا يلجأ إلى الهيمنة أو ينحرف نحو أهداف قذرة، فلن تتغير المواقف فحسب، بل سيتحسن الفهم أيضًا.

بحسب الفكر المسيحي، يجب أن نركز على الحب، والاحترام، والمسؤولية، والتواضع، والولاء، والعدالة، والأخلاق، والخير، واللياقة، والفضيلة، والرحمة، والشفقة، والإنصاف، والتضامن، والتعاون، والتماهي مع هذه القيم بدلاً من التركيز على عيوب الناس!

ولا ننسى أن العينين اللتين وهبنا إياهما الغرض منهما هو رؤية المادة. إننا بحاجة إلى عين ثالثة لرؤية المعنى. العين الثالثة هي الوعي المبني على المعرفة. إن التركيز على الخدمة وإضافة القيمة بهذا الوعي وجعل ذلك أسلوب حياة يتطلب وجود روح التماهي. ويعني روح التماهي، والرعاية الصادقة، والتكامل الكامل، وهو ضرورة من ضروريات الانسجام والترابط في الحياة.

"دعونا لا نُؤثر سلبًا على أي شخص، دعونا نكون نورًا وخميرة ونجومًا وملحًا للجميع" يعبر يوحنا الذهبي الفم (347-407) عن الأمر على النحو التالي: كل ما ينفع أخاك، فقل فيه فقط. لا تُضِف شيئًا، ولو بكلمة واحدة. فلماذا أعطاك الله فمًا ولسانًا، لتشكره وتبني أخاك لا لتهدمه.

أليس الهدف من كل العبادات والشعائر هو تحقيق هذه الأهمية والتكامل؟

نعم، إن الهدف الأساسي من العبادة والطقوس هو التقريب أكثر فأكثر من هذا الاهتمام والتكامل يوماً بعد يوم. لأن الإنسان الذي يتمتع بروح التكامل يتحمل مسؤولية مجال خدمته بوعي وتعاطف. وعندما يفعل هذا، فإنه يأخذ دائماً في الاعتبار الحقيقة والضمير.

وتعتمد ممارسة هذا على اكتشاف الشخص لحبه لذاته وتقديره لذاته، ومعرفة نفسه، وتأديبه، وتجاوز ذاته، ومعرفة حدوده.

ملفونو يوسف بختاش

رئيس جمعية الثقافة واللغة السريانية وادبها / ماردين